رسائل ابن كمال

تأليف العالم العلامة والمحقق الفهامة وحيد دهره وفريد عصره
شيخ الأسلام
شمس الدين احمد بن سليمان
المعروف
بابن كمال باشا
تغمده الله بالرحمة والرضوان

الجزء الاول

ناشر الكتاب
احمد جودت
صاحب جريدة (اقدام) ورئيس محرريها

برخصة نظارة المعارف الجليلة المرقمة ٧٠١
و المؤرخة ٨ شعبان سنة ١٣١٦

طبع فى مطبعة (اقدام) بدار الخلافة العليه
سنة ١٣١٦ هجرية

الرسالة الاولى

﴿ فى تفسير سورة فاتحة الكتاب ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

السورة عبارة عن طائفة من القرآن مترجمة له اقلها ثلث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة اومن السورة التى هى الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية او القطعة من الشئ * وفائدة تقطيع القرآن سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه بيانا واحدا وانشط للقارى واسهل للحفظ * واما افراد الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مرعى فى ترتيب الآيات وتقطيعها سورا كما لايخفى على من تتبع وتأمل * وفاتحة الشئ اوله وخاتمته آخره اذ بهما الفتح والختم والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هى فى الاصل مصدر بمعنى الفتح اطلقت على الاول تسمية للمفعول بالمصدر والفاعلة فى المصادر غير عزيز * واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله المفتتح بالتحميد المختتم بمعنى اللام لان اول الشئ جزؤه واضافة الجزء الى كله بمعنى اللام * ثم ان وجه تسمية هذه بفاتحة الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم

المسئلة ظاهر * اما تسميتها بام القرآن فلاشتما لها على كليات المعانى التى فى القرآن من الثناء على الله تعالى ومن التقيد بالامر والنهى والوعد والوعيد * واما التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدؤه فكأنها اصله ومنشاؤه * واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبى عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش * واما تسميتها بسورة الشفاء والشافية فلقوله عليه السلام هى ام القرآن وهى شفاء لكل داء * واما تسميتها بسورة الصلوة [*] فلوجوب قراءتها فيها وقد تسمى بالصلوة كما وقع فى الحديث القدسى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى وذلك من باب تسمية الشئ باسم مايلازمه * واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفى الصلاة عن غيرها ولايكفى غيرها عنها والمراد من الصلاة الركعتان الاخيرتان من الرباعية لان ضم السورة عليها واجب فى الاوليين * واما تسميتها بالسبع المثانى فلانها سبع آيات تثنى فى الصلاة * وقيل لانها ثنيت فى النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة * وفيه ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى يعنى فاتحة الكتاب على مانص النبى عليه السلام حيث قال فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيت والآية مكية بالنص وبذلك استدلوا على مكية هذه السورة (مكية

---

[*] فى الكليات : واصل الصلاة صلوة بالتحريك قلبت واوها الفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها فصارت صلاة تلفظ بالالف وتكتب بالواو اشارة الى الاصل المذكور و اتباعا للرسم العثمانى مثل الزكوة والحيوة والربوا غيران المتطرفة يكتب بعدها الالف دون المتوسطة الا اذا اضيفت اوثنيت فانها حينئذ تكتب بالالف نحو صلاتك وصلاتان وقال ابن درستويه لم تثبت بالواو فى غير القرأن وفى الكافى الربا قد يكتب بالواو وهذا اقبح من كتابة الصلاة لانه متعرض للوقف واقبح منه انهم زادوا بعدها الفا تشبيها بواو الجمع وخط القرأن لايقاس عليه.

قدمر دليل على مكيتها ووجه الدلالة ظاهر والمكى مانزل قبل الهجرة والمدنى مانزل بعدها سواء نزل بالمدينة اوفى سفر من الاسفار (وهى سبع آيات بالاتفاق الا ان قرّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاءها عدوا انعمت عليهم آية ولم يروا التسمية آية منها وعليه مالك وابو حنيفة رحمه الله واصحابه رحمهم الله ولهذا لم يجهر مالك فى الصلاة ولم يعين لها ابو حنيفة رحمه الله ويقول انها آية من القرآن انزلت للفصل بين السور والافتتاح بها تبركا وقراء مكة والكوفة وفقهاءها على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى واصحابه ولهذا يجهر بها فى الصلاة ولادلالة فى الاجماع على ان مابين دفتى المصاحف كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين على صحة القول الثانى اذلا يلزم من كونها كلام الله تعالى ان تكون آية من الفاتحة نعم فيما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه من انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولها بسم الرحمن الرحيم دلالة عليها (بسم الله الرحمن الرحيم) قد جاء فى الخبر عن خير البشر عليه السلام انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت فى سورة الهود بسم الله مجريها ومرسيها كتب باسم الله فلما نزلت فى سورة بنى اسرائل قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن كتب باسم الله الرحمن فلما نزلت آية انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففى الخبر دليل على انها ليست من اول كل سورة ولكنها بعض آية من كتاب الله تعالى فى سورة النمل وقالوا اللطف من الله تعالى فى عدم كونها آية تامة ان لايكون الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند كل امر ذى بال كالشهادتين لم تجتمعا فى القرآن فى موضع واحد لئلا تتم آية وربما يحتضر الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره (بسم نصب بفعل مضمر تقديره بسم الله اقرأ وتقديم المعمول للاهتمام والاختصاص واصله باسم

بالالف حذف لكثرة الاستعمال ولذلك ثبت عند استعمالها بحرف آخر نحو قولك لاسم الله حلاوة فى القلوب اومضاف الى اسم آخر نحو باسم ربك وطولت الباء لاجله وهى للخفض كسرت لتشابه حركتها عملها وعن عمر بن عبدالعزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم (كان القياس السنات لانه جمع السن الاانه عدل عنه حذراً عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهرى فى الدينار اصله الدنار بالتشديد فابدل من احد حرفى تضعيفه ياءلئلا يلتبس بالمصادر التى تجئ على فعال كقوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا (افتتح كتابه العزيز بالباء وآثرها على سائر الحروف لاسيما على الالف حيث اسقطه واثبت هيئة الباء مكانه اشارة الى انه وان كان متبوعا للباء صورة لكنه من توابعها معنى وذلك اذا نظرت الى صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما على الباء متبوعاله واذا تلفظت بالباء وجدت الالف تابعالها (والاسم من السمو لانه رفعة للمسمى وشعارله (وصله لدفع توهم اختصاص الاستعانة بلفظ الله فقط فان القائل اذا قال بالله ابتدئ فمعناه بهذا الاسم ابتدئ واذا قال باسم الله ابتدئ فمعناه باسمه تعالى ابتدئ فان المقصود به ح المسمى (الله اسم علم خاص له تعالى عند الخليلى ومن تبعه وعلاقة الاشتباه بينه وبين غيره انماينا فى علميته اذا شئت اصالة ذلك الغير وذلك لم يثبت بعد (وقيل وصف لكنه غلب عليه تعالى بحيث لايستعمل فى غيره وصار كالعلم له تعالى لان ذاته تعالى من حيث هو بلااعتبار امر حقيقى اوغيره غير معقول للبشر فلايمكن ان يدل عليه بلفظ (ويرد عليه ان المعتبر فى اسم الذات تجريد الموضوع له عن معنى زائد على الذات لاتجريد الذات عنه عند الوضع فلا حظته بوصف مخصوص لاينا فى كونه اسم ذات اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا فى الموضوع له على ان فى وضع الاعلام لاحاجة الى معرفة الموضوع

وملاحظته بشخصه بل يكفى معرفته وملاحظته على وجه يحصر ذلك الوجه فى الخارج فيه الايرى ان الاب يضع علما لولده قبل ان يراه (ولو سلم انه يستحيل ان يضع له علما ولكن لم لايجوز ان يسمى الحق نفسه باسم يدل على ذاته تعالى بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك (لايقال لو دل على مجرد ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله وهو الله فى السموات معنى صحيحاً لان اللازم ح عدم دلالته وضعا على معنى زائد لاعدم دلالته عليه اصلا كحاتم فانه علم ومع ذلك يدل على معنى السخاوة لاشتهاره بها (اصله الاه فلما ادخل عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً وعوضت عنها حرف التعريف (فان قلت اذا كان دخولهما قبل حذفها فكيف تكونان عوضا عنها (قلت دخولهما قبل حذفها لابطريق اللزوم وبعد الحذف تكونان لازمين فههنا باعتبار اللزوم تكونان عوضا عنها ولذلك قطعت همزة يا الله (وهو اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب منكرا على المعبود بحق كبعوضة وسنة وقد دل على ذلك اى غلبته منكرا كلمة التوحيد (مشتق من اله بعد حذف الهمزة وتعويض التعريف ويدل على هذا ايضا كلمة التوحيد (مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى وتصرفا اومن اله بمعنى فزع اومن اله بمعنى ولع اومن اله بمعنى تحير اومن اله بمعنى سكن اومن وله كعله ودله وزنا ومعنى وتصرفا اى تحير ودهش اومن وله بمعنى طرب اومن لاه بمعنى ارتفع او بمعنى احتجب اوبمعنى استار (فمجموع الاقاويل هو المعبود للخواص والعوام . المفزوع اليه عندالامور العظام . المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام . الظاهر بالاعلام . الذى تحير فى صفاتها الاحلام . وسكنت فى عبادتها الاجسام وولعت به نفوس الانام . وطرب اليه قلوب الكرام . (الرحمن الرحيم) اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثانى لان فعيلا لمن

كثر منه الفعل وفعلان لمن كثر وتكرر وحق الا بالغ التأخير الا انه قدم لاختصاصه به تعالى كالعلم (وصفه تعالى بالرحمة ومعناها العطف ومن الرحم من قبيل اطلاق السبب على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على رعيته انعم عليهم واحسن فى حقهم (ومافى معنى الرحمن من الزيادة كما وكيفاً حيث يقال تارة يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة واخرى يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فمرجعه الى الصيغة فان زيادة البناء لزيادة المعنى (وهذا بعد الرجوع الى الاصل الواحد فى الاشتقاق بشرط الاتحاد فى النوع فلا نقض بحاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والآخر صفة مشبهة فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل فى غير الله تعالى الا تعنتاً كرحمن اليمامة والرحيم على عكس ذلك (الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل ولا اختصاص له بالله تعالى يفصح عن ذلك قول عائشة رضى الله عنها نحمد الله لا نحمدك وقول على رضى الله عنه لا تحمدن امرأ حتى تجربه بل لا اختصاص له بذى علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً وقول العرب فى المثل السائر عند الصباح يحمد القوم البشرى (ومن هنا تبين ان المحمود لا يلزم ان يكون فاعلا لما حمد به فضلاً ان يكون مختارا فيه كما توهم وان من وهم قيام الفرق بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثانى بالجماد دون الاول فقد وهم (واتضح انه لا دخل لمسئلة خلق العباد افعالهم فى هذا المقام لان الكلام فى الحمد اللغوى والمرجع فيه من وثق بعربيتهم وقد ثبت بالنقل الصريح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به تعالى (واما حمل التعريف على الجنس دون الاستغراق فمنشاؤه امر آخر وهو ان مقتضى الخطابة تخصيص حقيقة الحمد به تعالى تنزيلاً لافراد الحمد الثابتة لغيره منزلة العدم وهذا المعنى ظاهر عند كون التعريف للجنس دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما فى جمع الامير

الصاغة ويساعده مقام الخطابة فلا يوجد استيعاب جميع الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام (والشكر مقابلة النعمة بالقول او العمل لكونه بالفعل كما يكون بالقول يقال دابة [*] شكور اذا ظهر سمنه بادنى علف له وقال تعالى اعملوا آل داود شكرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو اللسان والاركان اما الجنان فليس بمورد له بل هو شرط لكون القول شكرا (ومقابل الشكر الكفران ومقابل الحمد الذم الذى يقابل المدح على ما نص عليه الجوهرى ومن هنا تبين انهما مترادفان لغة ولا دلالة فى قول الشاعر. افادتكم النعماء منى ثلثة . يدى ولسانى والضمير المحجبا ؛ على استقلال كل منها موردا (ولما كان الحمد فى مقابلة النعمة من شعب الشكر اشيع لها وادل على مكانها لما فى ادب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة وقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده (ورفع الحمد بالابتداء وخبره لله واصله النصب على المصدر باضمار فعله لكونه من المصادر التى حقها ان تكون كذلك ولا يذكر معها الفعل البتة كشكراً وعجباً وقد قرئ على الاصل والعدول الى الرفع على الاول للثبات لما فى الفعل من التجدد لدلالته على الازمنة وكذلك كانت تحية ابراهيم عليه السلام احسن فى قوله تعالى قالو اسلا ما قال سلام ولان معناه على الرفع ان الحمد حق الله يستحقه لذاته وعلى النصب لا دلالة على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الساهى عن ملاحظته اذا تكلم به على النصب يكون كاذباً لاخباره عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك بخلاف ما اذا تكلم على الرفع (وانما خص الاسم المذكور ههنا ليكون المحامد كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها فانه اسم ينبئ عن جميع صفات الكمال ولما اخبر بانه تع حقيق بالحمد

---

[*] فى اساس البلاغة دابة شكور يكفيها قليل العلف وهى تسمن عليه وتصلح وناقة وشاة شكرة تعتلف اى علف كان ويصبح ضرعها ملأن.

باعتبار ذاته المستجمعة لجميع صفات الكمال وعامة نعوت الجلال حمداولم يحمدنبه على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام وآثاره الجسام ايضامن ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين وذلك ان ترتب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر بها كأنه قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها و بكمالاتها التى لايشترك فيها غيره (رب العالمين) الرب يطلق على المربى والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود وكل ذلك يتحمله المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها وكفى ذلك وجها لايثاره على المالك ونحوه (ثم ان ربوبيته تع بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى التربية والاصلاح خاصة بحسب انواع الموجودات متفاوتة فهو مربى الاشباح بانواع نعمه ومربى الارواح باصناف كرمه ومربى نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربى قلوب العارفين بآداب الطريقة ومربى اسرار الابرار بانوار الحقيقة ولقد احسن من قال انه تع يملك عباد اغيرك كما قال تع ومايعلم جنود ربك الاهو وانت ليس لك رب سواه ثم انك تساهل فى خدمته كما ان لك ربا غيره وهو يعتنى فى تربيتك كأنه ليس له عبد سواك يحفظك بالنهار عن الآفات بلاعوض ويحرسك فى الليل عن المخافات من غير عوض فما احسن هذه التربية (واطلاق الرب على غيره تع لايجوز شرعا لامطلقا ولا متقيدا لما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضه مرفوعا لايقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولايقل احدكم ربى وليقل سيدى ومولاى واما قول يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربى فمحمول على الحكاية من الله تع لانه عليه السلام كان يتكلم بالعبرية فلاحاجة الى ماقيل انه ملحق بقوله تع وخروا له سجداً فى الاختصاص بزمانه بل لاوجه له كما لايخفى ويجوز لغةً ولو مطلقا

كما وقع فى شعر الحرث بن حلزة من شعرآء الجاهلية يمدح ملكا وهوالرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء (والعالمين جمع عالم وهو فى لسان العرب اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والجن والانس فتقول العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على مانقله ائمة اللسان وهو جمع لاواحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش (وهو مأخوذ من العلم والعلامة فجعل اسماً لما يعلم به الصانع فان فاعل كثيراً مايجئ فى اسم الآلة التى يفعل به الشئ كالخاتم والقالب والطابع فجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة فى الدلالة على صانعه (واما جمعه فلانه لوافرد لربما يتبادر الى الفهم انه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف والى الجنس والحقيقة على ماهو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس يسمى بالعالم لعدم العهد وفى الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون نفس الحقيقة والجنس (وانما جمع قلة والظاهر يستدعى الاتيان بجمع الكثرة قال وهب خلق الله ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها تنبيهاً على انهم وان كثر واقليلون فى جنب عظمته واما جمعه بالياء والنون فلتغليب العقلاء منهم (الرحمن الرحيم) ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناءً على صفاته كما قال النبى عليه السلام فيما روى عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى علىّ عبدى فذكرهما فى البسملة لاستمالة قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران وفى الفاتحة للثناء على الله تعالى بالجمال والجلال للقربة والرضوان (مالك يوم الدين) المالك تام القدرة وقرئ ملك يوم الدين من الملك وهو التسلط العام والاستيلاء التام . وهو اشد مناسبة لله تعالى وللاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على الاعمال من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف

من القوى على الاستيلاء والسلطنة واضافة الملك والسلطنة الى الوقت سائغ دون اضافة الملك (وقيل فى ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب لقول النبى عليه السلام من قرأ القرآن كتبت له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات (واضافته الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف المجرى مجرى المفعول اتساعا (وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل انما تكون غير حقيقية اذا اريد به الحال او الاستقبال لكونه فى تقدير الانفصال والمراد هنا الزمان المستمر او الماضى لقراءة ملك على المضى فتكون حقيقية (واليوم مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة عن وقت استطارة الفجر الثانى الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا طويلا كان او قصيرا وهو المراد فى الآية لعدم الطلوع والغروب حينئذ (والدين الجزاء خيرا كان المجزى به او شرا يقال كما تدين تدان (وانما خص اضافة ملك اليه لان الاملاك يومئذ زائلة قال الله تعالى والامر يومئذ لله فكأنه يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك بوجوه النعمة فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحم ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لابد من ايصال الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين (اياك نعبد) لانك مالك (واياك نستعين) لان ماسواك هالك (اياضمير منفصل منصوب وكافه للخطاب مثل كاف ذلك وهواى يأؤهما حرفا التنبيه والنداء فادغم الياء وكسرت الالف لجوار الياء (والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل ولهذا اختصت بالرب (عدل عن الغيبة الى الخطاب وهو صنعة الالتفات وقد اقتضاه المقام وذلك ان من اول السورة الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة اولى ومن هنا الى آخره دعاء والدعاء فى الحضور اولى والمعنى نخصك يامن لايسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اضافة النعم الدنيوية والاخروية ولايجوز الاستعانة الا به

لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شئ بغاية التذلل فى طلب المعونة لانعبد غيرك ولانستعين سواك (قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد وقطعا لاحتمال تعلق العبادة لغيره من اول الامر لانه كفر لابد من الاحتياط عن ذهاب الوهم اليه ولم يسلك فى الحمد لله ذلك المسلك اذ لا بأس فى تعلق الحمد لغيره تعالى (وآثر الضمير المستكن الشامل للقارى ولسائر الموحدين للتعميم والتشريك ودرجا لعبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلطا لحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وكان فى ذلك ايفاء لكل مقام فكأنه يقول انت منفرد فى المعبودية ونحن شركاء فى العبودية (ولك ان تقول ان فى اعبد معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفى نعبد معنى التواضع المناسب لمقام العبادة والتذلل فكأنه يقول القارى انى واحد من عبيدك (وقدم العبادة على الاستعانة تعليماً للعباد وجريا على ما انطبع فى الغرائز من تقديم الوسيلة على الحاجة لانها انجح لحصول المطلب واسرع لوقوع الاجابة (واطلق الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها بقوله اهدنا ليتكرر اجمالا وتفصيلاً فيدل على ان اهم المهمات الاستعانة وبتوفيقه فى طلب الهداية والسعادة الاخروية الباقية وكرر الضمير للتنصيص على التخصيص فى كل من العبادة والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص فى مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص فى كل منهما (اهدنا الصراط المستقيم) الدين القويم. ومايدل عليه القرآن العظيم. قال على وابىّ بن كعب رضى الله عنهما اهدنا الصراط المستقيم ثبتنا عليه كما يقال للقائم قم حتى اعود اليك اى دم على ما انت عليه قيل وقرئ ثبتنا وفى التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب هو الثبات فى ضمن التجدد يعنى ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها فى كل وقت (والهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وخص ما كان دلالة بفعلت نحو هديته الطريق وما كان عطاء بافعلت نحو اهديت الهدية واستعمالها فى الشر كما فى قوله تعالى

فاهدوهم الى صراط الجحيم فعلى طريقة التهكم كالبشارة فى قوله فبشرهم بعذاب اليم (والفعل منه هدى يتعدى الى ثانى مفعوليه باللام تارة وبالى اخرى ففى حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه اخراج له مخرج المتعدى الى المفعولين بالذات ولا بعد فى ان يقصد بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة فكأنه قيل اهدنا هداية كاملة لا تحتاج الى الواسطة (وانما قال اهدنا دون اهدنى رعاية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلماء يقول لتلامذته اذا قرأتم فى خطبة السبق رضى الله عنك وعن جماعة المسلمين ان ذكرتنى فى قولك ورضى الله والا فلا حرج ولكن اياك ان تنسانى فى قولك وعن جماعة المسلمين فلا بد ان يكون فى المسلمين ان يستحق الاجابة واذا اجاب الله تعالى الدعاء فى البعض وهو اكرم من ان يرده فى الباقى ولهذا السبب قالوا السنة اذا اراد احدان يذكر الدعاء ان يصلى اولا على النبى عليه السلام ثم يذكر ذلك ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فانه اذا اجيب فى طرفى دعائه امتنع ان يرد فى وسطه وقد قال النبى عليه السلام ادعوا الله بالسنة ماعصيتموه بها قال يارسول الله فمن اين لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ماعصيت بلسانه وهو ماعصى بلسانك (والصراط كالطريق فى التذكير والتأنيث اما فى المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كل مايطرقه طارق معتادا كان اوغير معتاد والسبيل من الطريق ماهو معتاد السلوك والصراط من السبيل مالا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد فهوا خص الثلثة (وفائدة وصفه بالمستقيم ان الصراط يطلق على مافيه صعود اوهبوط والمستقيم مالاميل فيه الى جهة من الجهات الاربعة واصل الاستقامة فى قيام الشخص ان لا يكون منحنيا ولا متعنتا ولا مائلاً الى يمين اويسار (صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم

وفائدة التوكيد التكرير والتفصيل بعدالاجمال واطلق الانعام لينتظم كل نعمة(شددت اللام فى الذين لانها اللامان والاصل لذمثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف والتشديد من اجل ذلك (والانعام نفع العالى من دونه بامر عظيم خالياً عن العوض والتبعة ولما كان الكفار من جملة الذين انعم الله عليهم على ماصرح به فى قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكر وانعمتى التى انعمت عليكم خصهم بقوله (غير المغضوب عليهم)فى دار الدنيا (ولا الضالين)فى دار الآخرة والمشهوران نعمة الله تعالى على نوعين دنيوية وهى اوفر فى حق الكافر لقول النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافر واخروية وهى مختصة بالمؤمن (ونحن نقول ان النعمة الاخروية ايضا على قسمين نعمة نفع وهى المختصة بالمؤمن ونعمة دفع ولاشبهة فى عمومها للكافر ايضا لانه تعالى لايعذب كافرا من الكفار بنوع من العذاب الاوهو قادر على ان يعذبه باشدّ منه وترك ذلك نعمة تخفيف منه تعالى عليه (غير صفة مقيدة اى جمعوا بين النعمة والسلامة منهما وانما وصف المعرفة بغير تنزيلاً للموصول منزلة النكرة اذلم يقصد به معهودا ورفعاً لغير الى درجة المعرفة لزوال ابهامه بالاضافة الى ماله ضدّو احد (اعلم ان غيراً لها ثلثة مواضع (احدها ان تقع موقعا لاتكون فيه الانكرة وذلك اذا اريد بها النفى الساذج نحو مررت برجل غير زيد (الثانى ان تقع موقعا لاتكون فيه الامعرفة وذلك اذا اريد بها شئ قد عرف بمضادة المضاف اليه فى معنى لايضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اى بالمعروف بمضادتك الاانها فى هذا لاتجرى صفة فتذكر غير جارية على الموصوف (الثالث ان تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم كذا قال صدر الافاضل (وقد تبين منه ان من قال ان غيرالايتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف لم يصب وان من زعم انه بالاضافة الى ماله ضدو احد له تعين تعين

الحركة من غير السكون فقد اخطأ من وجوه اما الاول فلانه وان اضيف الى ماله ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف اليه فى معنى لا يضاده فيه الاهو ولهذا لم يكن من قبيل الثانى فلم يتعين تعين الحركة من غير السكون واما ثانيا فلانه ح يكون معرفة بالحقيقة على مامر لا بالتأويل كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه ح لا يجرى صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو فى توجيه كونه صفة لما قبله (وقيل هو بدل من الذين ولا يعجبنى ذلك لان خبر الفعل وصفة الوصف والبدل بالوصف ضعيف (والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام (والقانون فى امثال هذا ان جميع الاغراض النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والكبر والاستهزاء لها اوائل ولها نهايات ولنبين ذلك فى الغضب فان اوله غليان الدم وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب فى حق الله تعالى لا يحمل على اوله الذى هو من خواص الجسم بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة (بقى هنا نكتة لطيفة وهى انه صرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم لوّنه حيث قال غير المغضوب عليهم ولم يقل غير الذى غضبت عليهم عطفا على الاول فجاء باللفظ منحرفا به عن ذكر الغاضب فاسند اليه النعمة لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحسنا ولطفا (قيل يعنى بالاول اليهود لقوله تعالى فى قصتهم من لعنه الله وغضب عليه وبالثانى النصارى لقوله تعالى فى حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من ان رجلاً سأله وهو بوادى القرى من المغضوب عليهم قال اليهود ومن الضالين فقال النصارى (فان قلت كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه (قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم فى صفات ذم (وعليهم ههنا فى محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف ما فى انعمت عليهم فانه فى محل النصب

على المفعولية (لامزيدة لتأكيد مافى غير من معنى النفى فكأنه قيل لاالمغضوب عليهم ولاالضالين وعيّن دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم لمناسبة غير ليلايتوهم فى اول الوهلة بتركها عطف الضالين على الذين (والضلال فقدان الطريق المستوى سواء سبقه وجدان اولا كما فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى (وانما عدلنا عن تفسيره بالعدول عن السوى عمداً اوخطاءً لان من طلب الطريق السوى ولم يجده اوقعد عن الطلب يكون ضالاً ولاعدول ثمه لاعمداً ولاخطاءً (آمين) مبنى على الفتحة كاين لالتقاء الساكنين وجاء مدالفها وقصرها والاصل فيه القصر وانما مدلير تفع الصوت بالدعاء كذا قال ابن خالويه فى اعراب القرآن وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر فى قوله.

امين فزاده الله مابيننا بعدا. للضرورة وذلك وهم اذلاضرورة فانه لوقدم الفاء وقيل فآمين زادالله مابيننا بعدا اندفع الضرورة ولايشدد ميمه فانه لحن والعامة ربمافعلوا ذلك واما فى قوله تعالى ولا آمّين البيت الحرام فالميم مشددة لانه من امت اى قصدت معناه على قول ابن عباس رضى الله عنهما كذلك يكون وقيل اسم فعل اى استجب وروى عن كعب الاحبار انه قال آمين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده المؤمن وليس من القرآن اجماعا وقرآته سنة فى الصلاة وخارج الصلاة بعد الفاتحة مفصولة عنها

تم تفسير سورة الفاتحة بعون الله وحسن توفيقه

الرسالة الثانية

﴿ فى تفسير سورة الفجر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجر) اقسم بالصبح اوفلقه كقوله والصبح اذا تنفس اوبصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة اوالنحر اوعشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها (اوالخلق لقوله تع ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد (ومن فسرهما بالعناصر والافلاك اوالبروج والسيارات اوشفع الصلوة ووترها او بيومى النحر وعرفة وقدروى مرفوعا اوبغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول مارءاه اظهر دلالة على التوحيد اومدخلا فى الدين اومناسبة لما قبلهما اواكثر منفعة موجبة للشكر (وقرأ غير حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعم اويسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد

خصه نافع وابو عمر وبالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذف فيها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل في ذلك) القسم اوالمقسم به (قسم) حلف اومحلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به مايريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لاينبغى كما يسمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود وسموا باسم ابيهم كما سمى بنوها شم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم اواهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع اوالقدود الطوال اوالرفعة والثبات (وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابله فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة اوالبلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل لقوله تع وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب اومرفوع (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ماخلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط

وانما سمي به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ماأحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ماأعدّ لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاد الله العصاة بالعقاب (فاما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربى أكرمن) فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتداء الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التاخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازل قسيمه (فيقول ربى اهانن) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه (ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابن عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) اى بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على اطعام المسكين فضلاً عن غيرهم وقرأ الكوفيون تحاضون (وتأكلون التراث) الميراث واصله

وراث (اكلاً لما) ذالم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون انصبائهم ويأكلون ماجمعه المورث من حلال اوحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حباجما) كثيرا مع حرص وشره وقوأ ابوعمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ومابعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكاً دكا) اى دكاً بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال اوهباء منبثا (وجاء ربك) اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بمايظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفاصفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجئ يومئذ بجهنم) كقوله تعالى برزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذادكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه اويتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وانى له الذكرى) انى منفعة الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى لحياتى هذه اووقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان ممكنا منه (فيومئذ لايعذب عذابه احد ولايوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذا لامر كله له اوللانسان اى لايعذب احد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول (ياايتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهى التى اطمئنت بذكر الله تعالى فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لايريبها شك او الآمنة التى لايستفزها خوف